« الدولة العبيطة » والرئيس الأعبط !

لم تكن مفاجأة أن ظهرت «الدولة العميقة» فى مصر على صورة «الدولة العبيطة»، أما «عبط» الرئيس مرسى، فلا حيلة لأحد فيه، فقد خلقه الله هكذا، ولا راد لإرادته سبحانه وتعالى.

عبط الدولة العميقة بدا فى صورة فضيحة على الهواء، فضيحة دموية راح ضحيتها ١٦ شهيدا مصريا بين ضابط وجندى، حصدتهم مجموعة إرهابية برصاصها وقت الإفطار الرمضانى، ودون أن يرد عليهم أحد بطلقة، ولا أن ينتبه لموتهم مسؤول، فلم يعلم قادة الجيش بما جرى لزملائهم، ولم يصلوا إليهم لنجدتهم، ولا حتى لنقل الجرحى إلى أقرب مستشفى إلا بعد الحادث بساعة ونصف الساعة، وبعد أن كان الأهالى قد نقلوا جثث الشهداء إلى المستشفى، أما الإرهابيون فقد مروا بسلام، وإلى أن عاجلهم القصف الإسرائيلى عند نقطة الحدود، وأرداهم جميعا فى أقل من ثانية، ونقل الجثث المتفحمة إلى الجانب المصرى، وترك للمصريين مهمة الضياع فى التخمينات، وممارسة أساليب بدائية فى محاولة التعرف على هوية الجثث، وبعرضها على شيوخ القبائل الذين لم يتعرفوا على أحد، ثم نقلها إلى مصلحة الطب الشرعى فى القاهرة.

تتابع وقائع الحادث الإرهابى الإجرامى كشف «العمى الحيثى» الذى أصاب أجهزتنا العميقة جدا، والتى بدت فى حالة عبط وهطل وكآخر من يعلم، فقد بدت القصة كلها كاستعراض إسرائيلى للقوة والمهارة، ومقابل طرف مصرى بدا كالأعمى المشلول، دوائر المخابرات الإسرائيلية أعلنت عن توقع الحادث قبلها بأيام، وأمرت رعاياها بالخروج من سيناء، وردت الدوائر المصرية المعنية بالعبط الروتينى، وقالت كعادتها البليدة «إن كل شيء تمام»، وحين وقع الحادث بالفعل،

كان الضحايا جاهزين للذبح، فلم يبلغهم أحد بأن الإفطار الجماعى لعسكريين فى مهمة خطأ بديهى، وهكذا وقع كمين الضباط والجنود فى الكمين، وقتلوا جميعا وهم فى الغفلة، واكتفينا نحن بمنحهم لقب «الشهداء»، مع أن أجهزة الدولة العميقة - العبيطة هى التى قتلتهم، وبالإهمال الذى يرقى إلى حد الخيانة، وقبل أن يقتلهم الإرهابيون الذين وصفوا بأنهم فلسطينيون، وتماما كما قالت إسرائيل التى دبرت الحادث الإرهابى، أو كانت تعرف به معرفة تامة، وهو ما يفسر سرعة وطلاقة الرد الصاروخى الإسرائيلى، والذى بدا كعمل استعراضى مثير، تحركت فيه طائرة بدون طيار بسرعة البرق، وجرى قصف المدرعة المصرية التى خطفها الإرهابيون، وقتل الجميع فى نفس واحد، وحتى تختفى التفاصيل والمقاصد، ويظهر نتنياهو وباراك فى الصباح التالى، وكأنهما فى نزهة خلوية على الحدود، وبملابس «سبور»، الأيدى فى الجيوب، والابتسامات فى العين وعلى الوجوه، والنظرات ساخرة من عبط المصريين على الطرف الآخر، والذى لم تنقله الصور الباردة المنشورة فى صحف وإعلام مصر بعد الحادث، والتى أظهرت الرئيس والمشير والقادة العسكريين والأمنيين عند الحدود، بينما بدت الحقيقة حية فى شريط فيديو نادر، بدا فيه الرئيس كجنرال مبتدئ، يجرب حظه فى خطبة مدرسية، ويطالب بالثأر الفورى من القتلة، بينما بدت ردود أفعال المشير وصحبه لا مبالية ساخرة من مبالغات مرسى التمثيلية، وعلى طريقة «إن شاء الله، المصرية التهكمية حمالة الأوجه» «!».

وفى جنازة الشهداء بالقاهرة، بدا المشهد حمالا لفضائح أخرى، فقد غاب الرئيس مرسى، وبعد أن سمع بحرب الأحذية التى نالت من رئيس وزرائه، غاب الرئيس فى ذات اللحظة التى غاب فيها مرشده الإخوانى محمد بديع، بدا الجميع كفئران مذعورة هاربة من سيل الأحذية، ولم تكن الفضيحة فقط للرئيس وحزبه الإخوانى، بل لأجهزة الدولة العميقة - العبيطة التى حذرت الرئيس من الأحذية، وبأن حذاء شاردا قد يعصف بحياته، وبأنها عاجزة عن الصمود ضد

رماة الأحذية، أى أن قوات الجيش والشرطة العسكرية والمدنية لا تستطيع حماية شخص من ضربة حذاء محتملة، بينما كانت القوات ذاتها تحمى المشير وصحبه فى الجنازة، ولم يخل الأمر - طبعا- من رغبة أجهزة الدولة العبيطة فى إحراج رئيس لا ترغب به، أو قل إنها لا تعترف بوجوده من الأصل، لكن هؤلاء تصرفوا على طريقة الدبة التى قتلت صاحبها، أرادت أن تدفع عن وجهه ذبابة فحطمت فكه، ودمرت معنى «المهابة» الجوهرى فى الجنازة العسكرية للشهداء، وأظهرت الدولة المصرية كقبيلة بدائية يختصم أفرادها على غنيمة، ولا تعرف حرمة لموت، ولا انتظاما لمراسم، وهو الخبل الذى حاولت «الدولة العبيطة» و«الرئيس الأعبط» تداركه بعدها بساعات، وحين اجتمع مجلس الدفاع الوطنى الذى شكله المجلس العسكرى عشية انتخاب مرسى، وبأغلبية ساحقة من الجنرالات، وبحضور صورى للرئيس مرسى، وقرر مجلس الدفاع الإطاحة بمدير المخابرات وقائد الحرس الجمهورى وعدد آخر من القادة العسكريين والأمنيين، وتصور بعض البلهاء أن القرارات «ضربة معلم» لصاحبها الرئيس مرسى، بينما لم يكن مرسى سوى ضحية ضجت بالشكوى، وسوى مستعطف، وطالب لإنصاف ينقذ ماء وجهه الغائض، ووجدها الجنرالات فرصة لتثبيت أقدامهم أكثر، وتأكيد انفرادهم بالقرارات السيادية، وإعادة جهاز المخابرات العامة لهيمنة الجيش والمجلس العسكرى، وتعيين قائد للحرس الجمهورى من جنرالات الجيش، والمعروف أن تضخم دور المخابرات العامة فى زمن عمر سليمان، واستقلالية الجهاز فى عمله، وتبعيته فقط للرئيس المخلوع مبارك، المعروف أن ذلك كله كان يسبب صداعا للمجلس العسكرى، فوق ما هو معروف من نقص ثقة المجلس العسكرى باللواء نجيب عبدالسلام قائد الحرس الجمهورى إلى آخر أيام مبارك، والذى كان موقفه غامضا وملتبسا فى وقت تنحى مبارك، وإن ظل قائدا للحرس حتى تنصيب مرسى، وكان مرسى يستريح إليه، وإلى أن أطاح به الجنرالات فى الاجتماع الأخير لمجلس الدفاع الوطنى، وجاءوا بقائد قوات المظلات خلفا له،

وهكذا تدعمت سيطرة المجلس العسكرى على المواقع الحساسة، بينما سارت مظاهرات إخوانية تهتف لمرسى، وتصور القرارات كما لو كانت انتصارا مدويا للرئيس التائه، وقد نلتمس العذر لشباب الإخوان المسيرين لا المخيرين، فصحيفة كبرى بحجم «الجارديان» البريطانية وقعت فى الخطأ القاتل نفسه، واعتبرت القرارات كشفا عن أنياب مرسى وفضحا لما صورته وكأنه «تفاهة الجنرالات».

وهكذا تكتمل الصورة، فقد جرى استثمار حادث رفح الإرهابى فى صراعات السلطة المزدوجة، جرى استثمار الحادث لتهميش إضافى لدور الرئيس المنتخب، وجعله- فقط- مجرد رئيس بروتوكول، يسمح له بالإفطار مع القادة العسكريين، ودون أن يسمح له بدخول المطبخ، ولا تحرى حقيقة ما يجرى فى سيناء بالضبط، ولا حقيقة ما يجرى من اتصالات مع الإسرائيليين والأمريكيين، فقد بدت الدوائر الإسرائيلية غاية فى الاغتباط بما يجرى فى مصر الآن، فالطائرات المصرية العسكرية لا تتحرك إلى سيناء بغير إخطار، وربما استئذان من الإسرائيليين، والعملية «نسر» الجارية الآن هى استكمال لعملية سابقة حملت الاسم نفسه، وجرى فيها إخطار الإسرائيليين مسبقا بحجم القوات المصرية المنقولة إلى سيناء، وليس هذا ما يريده الوطنيون المصريون بالقطع، فالمطلوب ليس تحركا يخطر به الإسرائيليون، أو يرضون عنه، المطلوب بالدقة: إلغاء الملاحق الأمنية لمعاهدة كامب ديفيد، وإلغاء مناطق نزع السلاح، والنشر الدائم لقوات الجيش المصرى وطائراته ودباباته حتى خط الحدود الدولية، والتصفية الكاملة لجماعات الإرهاب فى سيناء، والفتح الدائم المنضبط لمعبر رفح، وليس هذا ما يريده الإسرائيليون، ولا مما يخطر فى بال أجهزة الدولة العميقة- العبيطة، ولا فى بال الرئيس الأعبط، والذى يبدو سعيدا بصورته كجنرال من ورق.

"صوت الأمة" فى ١٣ من أغسطس ٢٠١٢